رمز الطبيعة في شعر المقاومة لدى بلند الحيدري

أستاذ مشارك صادق فتحي دهكردي الباحث. نادر محمدي
قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة طهران/ فرديس فارابي/ ايران

Nnatural symbol in al-Haidari's resistance poem

Ass.Prof. Sadeq Fathi Dehkordi Researcher. Nader Mohammadi
Tehran University/ Farabi Pardise
nader.mohammadi67@gmail.com

Abstract

Symbolism is one of the technical techniques Which is used in contemporary Arabic poetry. Contemporary Arabic poetry and, in particular, poetry is endemic to symbolism And this is for many reasons. Like political thirst, to visualize and deepen the meanings and feelings and to share the audience in the poet's mind and feeling. After the occupation of the Arab countries by the West and the prosperity literature of the Arab poets and authors of the symbolism school, the use of the symbol in the Arabic literature in perseverance literature grew. This article examines the natural symbols in the poetry of sustainability of contemporary poet boland al-Haidari. In most of his poems, he speaks of his homeland, stability and resurrection against the occupiers and oppressors to achieve freedom and dignity. He uses natural elements as symbols for his purpose and covers meanings and emotions in the form of symbols and transfers the audience. He poses his perseverance on the main themes of sustainability: occupation, usurpation, oppression, uprising and freedom. He portrays negative elements such as wolf and cold as a symbol of usurpation and oppression, and positive elements such as spring and sun symbolize uprising and freedom. The poet brings new meanings and implications to these elements, in addition to implications and contractual implications And this keeps him from the danger of imprisonment and assassination. It also shares the audience with the poet's thoughts and feelings about the homeland. This research is based on a descriptive-analytic method. And examines the implications of symbols based on Islamic Arabic culture and the characteristics of natural elements.

Key words: boland al-Haidari, sustainability, contemporary poetry, symbolism, nature.

الملخّص

إنّ من أبرز التقنيات الفنيّة التي يُستخدم في الشعر العربي الحديث هي الرمزيّة، الشعر العربي الحديث وخاصة شعر المقاومة مملوء بالرموز وهذا يرجع إلى أسباب عديدة كالكبت السياسي وتجسيد المعاني والأحاسيس وتعميقها ومشاركة المتلقّي في فكر الشاعر وأحاسيسه. بعد احتلال البلاد العربية على يد الغرب وازدهار أدب المقاومة وتعرّف الشعراء والكتّاب العرب على المدرسة الرمزيّة، كثر استخدام الرموز في أدب المقاومة في العالم العربي. هذا المقال يتطرّق إلى دراسة الرموز الطبيعيّة في شعر المقاومة للشاعر المعاصر بلند الحيدري. بلند الحيدري يتكلّم في أكثر أشعاره عن الوطن والمقاومة والثورة أمام المحتلّين والظالمين حتّى الوصول إلى الحريّة والكرامة. وهو يوظّف العناصر الطبيعيّة رمزا لما يريد تعبيره فيغطّي المعاني والعواطف في ستار رموز الطبيعة وينقلها إلى المتلّقي. فهو ينشد شعره المقاوم حول المضامين الأصلية للمقاومة يعني الاحتلال والغصب والظلم والثورة والحريّة. ويرمز بالعناصر السلبيّة مثل الذئب والبرد إلى الغصب والظلم وبالعناصر الإيجابيّة مثل الربيع والشمس إلى الثورة والحريّة. يعطي الشاعر لهذه العناصر معاني ودلالات جديدة غير دلالاتها المعجميّة فهذا يصونه من خطر السجن والاغتيال والأذى وأيضا يشارك المتلقّي في ما يفكر الشاعر ويحسّه حول الوطن وآلامه. قد اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي ويحلّل دلالات الرموز وفقا للثقافة العربيّة الإسلامية وسمات العناصر الطبيعية.

الكلمات الرئيسة: بلند الحيدري، الرمزية، الطبيعة، المقاومة، الشعر الحديث.

المقدمة

«إنّ المدرسة الرمزية العربية مذهب أدبي نشأ في الشعر العربي الحديث وتوضّحت معالمه في النصف الثاني من القرن العشرين؛ عبّر عن تجارب إنسانية ومعاناة قومية أو وطنية أو اجتماعية أو نفسية.. وفتح آفاقا جديدة في الأدب الإنساني». (نشاوي، 1984م: 469) بعدما احتلّت الدول الغربية البلاد العربية وارتكب بعض الحكام الظلم والفساد، قام الشعراء بالدفاع عن الوطن وحقوق شعبهم فتولّد أدب جديد في الأدب العربي، الأدب الذي عرف بأدب المقاومة. فهو أدب يقاوم أمام الظلم والفساد والاحتلال. إن هذا المقال يتطرق إلى تحليل رموز الطبيعة في شعر المقاومة للشاعر العراقي المعاصر بلند الحيدري. بلند الحيدري قد أنشد قصائد كثيرة حول الوطن والاحتلال وما يتعلّق بهما من الظلم والثورة والحريّة. لأنّه شاعر ملتزم وليس غافلا عمّا يجري في وطنه، والشاعر بسبب وجود الكبت السياسي في وطنه وبسبب تجسيد المعنى والإحساسات، قد استعمل تقنية الرمز في قصائده التي يتكلّم فيها عن المقاومة. هو كشاعر معاصر لا يتكلم عن الطبيعة ولا يصفها بل يستخدم عناصر الطبيعة رمزا وأداة تعبير لما في خياله من الأفكار. تعطي هذه الرموز شعره دينامية وحيويّة، وتجسّد الأفكار والأحاسيس أمام عيون المتلقّي. لكلّ عنصر دلالة خاصة وفقا لخصائصه. يستعمل الشاعر العناصر المخوفة والقبيحة لما مخوف وقبيح، والعناصر الجميلة والمحبوبة لما هو جميل ومحبوب، فمثلا يرمز بالأزهار إلى الشهداء ويرمز بالذئب إلى العدوّ الغاصب. وهذا أحسن طريق للتعبير عن الأفكار والأحاسيس لأنّ الظرف السياسي لا يسمح للشاعر أن يعبّر صريحا بما يريده ويهدّده بالاعتقال والقتل والحبس. وكذلك يعلم الشاعر بأنّ الكلمات في دلالتها المعجمية لا تستطيع أن تعبّر ما في ذهنه وقلبه من الأفكار والإحساسات. وإضافة لهذا أغنت رموز الطبيعة شعر الحيدري عمقا وجمالا.

أسئلة البحث

أ) ما هي دلالة رموز الطبيعة في شعر المقاومة بلند الحيدري؟

ب) ما هي أسباب استعمال رمز الطبيعة في شعر المقاومة بلند الحيدري؟

فرضيات البحث

أ) إن أكثر رموز الطبيعة في شعر المقاومة بلند الحيدري يدلّ على الغصب والظلم من جهة وعلى الثورة والحريّة والمقاومة من جهة أخرى.

ب) إن الكبت السياسي وتجسيد المعاني والإحساسات وتبيينها، هي أسباب توظيف الرموز الطبيعية في شعر المقاومة لدى بلند الحيدري.

خلفيّة البحث

يجد أبحاث علمية كثيرة حول بلند الحيدري ونحن هنا نشير إلى بعض هذه الأبحاث. فهناك أطروحة الماجستير للطالبة اكرم عبادي في جامعة كردستان ايران. سنة 1395ش. عنوان الرسالة «تحليل صور الخيال في شعر بلند الحيدري». من نتائج هذا البحث هي كثرة وجود الاستعارة المكنيّة التخييليّة في شعر بلند الحيدري. أطروحة دكتوراه «تجليات الحداثة في شعر بلند الحيدري» للطالب سلام مهدي رضيوي الموسوي في جامعة البصرة. سنة 2011م. ينتج هذه الرسالة بأنّ الشاعر بلند الحيدري قد لجأ إلى بعض التقنيات الحداثية وهي تقنية الرمز وتقنية التشكيل البصري وتقنية السرد. مقالة «القناع الأسطوري في شعر بلند الحيدري، دراسة نقدية على أساس مدرسة التحليل النفسي» لحسين كياني ومرضية فيروزپور. في مجلة اللغة العربية وآدابها. سنة 10. العدد 3. 1435هـ. يتبيّن من خلال البحث أن استعان بلند الحيدري باللاشعور الجمعي ونماذجه البدئية جعله يهتمّ في استدعائه للشخصيات التراثية والتقنّع بقناعها اهتماما بالغا بالشخصيات الأسطورية، ذلك أنها وفّرت له فرصة المزج بين الحاضر والماضي وفرصة التوحّد بين تجربته الذاتية والتجربة الجماعية. كذلك يظهر أن الشاعر في تقنّعه بأقنعة الشخصيات الأسطورية يختار قناعا يقرب من حاله (اللاشعور الشخصي) وحال مجتمعه (اللاشعور الجمعي). المقالة «دراسة الأنيمة في شعر بلند الحيدري» لسيد فضل الله مير قادري ومرضية فيروزپور في مجلة اللغة العربية وآدابها. سنة 10. العدد 2. 1435هـ. والنتائج التي توصّل إليها البحث، هي أن أنيمة الشاعر تظهر عنده بوجهيها

السلبي والأيجابي، لكن وجهها السلبي أكثر ظهورًا من وجهها الإيجابي، وهي معروفة لدى الشاعر وغير ثابتة، تحمل الأسماء التي تتناسب معها ولها تأثير وافر على الشاعر ورؤيته نحو الحياة.

بلند الحيدري

إن بلند الحيدري من أكبر الشعراء المعاصرين في العالم العربي، والذي اكتسب مكانة رفيعة في الأدب العربي بشعره الجديد في المعنى والأسلوب. «شاعر الشباب العراقي المجدّد بلند أكرم الحيدري، ينتمي إلى الأسرة الحيدريّة الشهيرة. ولد في بغداد في 14 أيلول 1926، وذاق مرارة اليتم صغيرا. تعرّف إلى الفنّان جواد سليم فالتمس أن يقوم معه بتجربة فنيّة تمزج الشعر بالرسم. تأثّر بأدب المهجر وعمر أبي شبكة وإلياس أبي شبكة. ثمّ اشتقّ لنفسه نهجا خاصّا في الشعر. أصدر مجموعته الشعرية الأولى «خفقة الطين» وعمره لا يكاد تجاوز العشرين. ثمّ تبعها بمجموعات أخرى: أغاني المدينة الميتة، جئتم مع الفجر، خطوات في الغربة، رحلة الحروف الصفر، قصائد جديدة، أغاني الحارس المتعب، حوار عبر الأبعاد الثلاثة». (بصري، 1994م، ج2،: 579–580) «كان بلند شاعرا مجددا مبدعا في سلاسة شعره والصور التي كان يجيدها، وهو يكتب القصيدة بأسلوب ساحر ولغة جميلة، أسهم في تطويرها وتجديدها. هو ينظم الشعر بسهولة كما يشرب الماء. تأثّر في شعره بأساطير اليونانيّة القديمة» (آل طعمة، 2002م: 98) هو يعرف بالتجدّد في الشعر العربي الحديث ويعدّ من أشهر الشعراء العراقيين كبدر شاكر السياب وعبدالوهاب البياتي، قد تطرّق الشاعر في شعره لقضايا وطنه وكذلك للمشاكل السياسية والاجتماعية في العالم العربي. «مرّ الخطاب الشعري لبلند الحيدري بثلاث مراحل، المرحلة الأولى مرحلة الحبّ والتي يمثّلها ديوانه خفقة الطين، والمرحلة الثانية مرحلة الاغتراب الوجودي حيث يغترب الشاعر في أشعاره عن المجتمع، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الالتزام الصريح حيث يعبّر الشاعر عن المجتمع والعشب والإنسان العراقي والعربي والعالمي تعبيرا صريحا فأشعاره في هذه المرحلة تدخل في إطار المدرسة الواقعية في الأدب» (المصري، 2014م: 9)

توظيف الرموز الطبيعية في شعر المقاومة لدى الشاعر

بعدما يحتل المستعمرون والدول الكبيرة البلاد الضعيفة، يرتكبون أنواع الجرايم والظلم في هذه البلاد من القمع وكبت الأفواه والقتل والحبس والنهب والسرقة. لكن العلماء والطلّاب والشعراء والكتّاب لا يسكتون أمامهم ويدعون الناس إلى الوعي والتضحية والثورة حتّى يصلوا إلى الحريّة والكرامة. فهذه الموضوعات الأربعة يعني الاحتلال والظلم والثورة والحريّة قد تجّلت في شعر بلند الحيدري وهو استعمل عناصر الطبيعة رمزا لهذه الموضوعات. فنحلّل هذه الرموز ودلالتها ونأتيها وفقا لظهورهابمعنى أننا نأتي بالغصب والاحتلال أوّلا والظلم ثانيا والثورة ثالثا والحريّة رابعا.

الف) الرموز التي تدلّ على الغصب والغاصبين:

وظّف الشاعر العناصر السلبية والقبيحة رمزا للغصب والغاصبين. فلذا ينتخب من الطبيعة ما له معنى سلبى وقبيح كالخوف والغدر والظلم والشقاء والبلاء، ولهذا قد رمز بالذئب والجرادة والغراب للغصب والغاصبين.

الذئب:

إن للذئب في آداب الأمم وثقافاتها مكانة خاصّة وهو مشهور بالغدر والظلم والحرص والخيانة. ويقال إنّه جائع دائماً ولا يشبع أبداً ولهذا هو حريص ولا يقنع بأيّ شيء. «ممّا هو مثير حقّاً أن تلصق الذئب كلّ صفات الشرّ من غدر وخيانة، وأن تتفق المجتمعات البشريّة على هذه الصّفات». (العمّاري، 2012م: 104) جاء في الأمثال العربيّة: «أخون من الذئب» (العسكريّ، 1988م، ج1: 333)، وكذلك «أظلم من الذّئب» (نفسه، ج2: 27) والشاعر بلند الحيدري يستخدم هذا الحيوان الوحشي رمزا للغاصبين الذين قد احتلّوا الوطن العربي.

قصيدة «تحية الأديب»

«وَ قَد دَجَنَ الظَّلامُ/ فَنَصَبَت/ فِي قُدسِنا/ نَصباً مِنَ البُهتانِ/ وتَجَمَّعَت سُحُباً على آفاقِها/ حُبلَى/ بِنارِ جُهمَةٍ ودُخانِ/ وَقَفَت تَتطُرُ أن يَلُمَّ تَجَمُّعَنا/ وَهَنٌ/ فَنَحنِي جَبهَةَ لِهَوانِ/ حَتّى إذا سَقَطَ النَّصيفُ تَمَلمَلَت/ ذِئباً/ وَسماً فِي فَمِ الثُّعبانِ/ فَإذا الرُّبوعُ وَليمَةٌ لِجِرادِها/ والدّارُ/ نَهبٌ لِبَراثِنِ الغِربانِ» (الحيدري، 1980م: 463-464) ويقول في قصيدة «الطرد»:

«كَم مَرَّةٍ يا دَمِي المَسفوحَ لِلتُّرابِ/ يا أيُّها الحاضِرُ فِي الغِيابِ/ كُنتُ أنا القاتِلَ/ وَالمقتولَ، كُنتُ الجُرحَ والذُبابَ/ كَم مَرَّةٍ/ أوصَدتُ دونِي البابَ/ ونِمتُ لا اَحلُمُ/ لا أسألُ/ لا أبحَثُ عَن جَوابٍ/ لِأنَّني.../ لا تَقلَقِي/ سَتَرجِعُ الذِّئابُ/ سَتَرجِعُ الذِّئابُ/ ومَرَّةَ ثانِيَةَ/ ثالِثَةَ/ رابِعَةَ» (الحيدري، 1980م: 603-604)

إنّ الغاصبين كالذئاب لا يشبعون من أكل دماء الناس وحقوق المظلومين. ولا رحم في قلوبهم ولا صلة بينهم وبين الإنسان. لأنّهم حيوان وحشيّ وعليهم أن يعيشوا ويسكنوا في الغابات والجبال. رمز الذئب استطاع أن ينقل إلى المتلقي وجهة النظر الشاعر وإحساسه عن الغاصبين، يعنى القتل والخوف والوحشية والأجنبية.

الجراد:

إنّ حشرة الجراد معروفة بضررها على الزراعة ومحاصيلها، تهاجم هذه الحشرة على المزارع وتأكل الأزهار والأوراق والأثمار. تجلّت الجرادة في الآثار الدينية والأدبية كثيرا. وأخذ معنى الهجوم والبلاء وفقا لما يعمل في الطبيعة. «الجراد تصوير للبلاء والآفة. هم جيش من المهاجمين والمدمّرين. في شروح كتاب المقدس فسِّر بهجوم تاريخي أو ألم وتعذيب من الشيطان» (شواليه، 1387ش، ج5: 295) جعل الشاعر بلند الحيدري الجراد رمزا للغاصبين. وهم يهاجمون كالجراد على وطنه ويأكلون حقوق الناس. يقول في قصيدة «تحية الأديب»:

«وَ قَد دَجَنَ الظَّلامُ/ فَنَصَبَت/ فِي قُدسِنا/ نَصباً مِنَ البُهتانِ/ وتَجَمَّعَت سُحُباً علَى آفاقِها/ حُبلَى/ بِنارِ جُهمَةٍ ودُخانِ/ وَقَفَت تَتطُرُ أن يَلُمَّ تَجَمُّعَنا / وَهَنٌ/ فَنَحنِي جَبهَةَ لِهَوانِ/ حَتّى إذا سَقَطَ النَّصيفُ تَمَلمَلَت/ ذِئباً/ وَسماً فِي فَمِ الثُّعبانِ/ فَإذا الرُّبوعُ وَليمَةٌ لِجِرادِها/ والدّارُ/ نَهبٌ لِبَراثِنِ الغِربانِ» (الحيدري، 1980م: 463-464)

فيجب على الشعب العربي أن يطرد العدوّ الغاصب من القدس كما يخرج الفلّاح الجراد من المزرعة. والشاعر بهذا الرمز استطاع أن يعبّر فكره وشعوره دون أن يقع في مخلب العدوّ وخطره.

الغراب:

يعرَف الغراب بالنحوسة والشؤم ويوظّف في الأدب بهذا المفهوم، «في التعبير النفسي رؤية الغراب في النوم، علامة النحوسة والشقاء والخوف» (شواليه، 1387ش، ج4: 581) هذا الطير في الثقافة العربية أخذ المعاني السلبية ويقال في المثل «أخدع من الغراب، أشأم من الغراب، أزهى من الغراب» (عجينة، 1994م، ج1: 324) نحن نرى حضور الغراب بهذا المفهوم في الأدب المقاوم ويوظّفه شعراء المقاومة رمزا للعدوّ الغاصب والمحتلّين لأنّهم سبب الشقاوة والخوف. بلند الحيدري في قصيدة «تحية الأديب» يقول:

«وَ قَد دَجَنَ الظَّلامُ/ فَنَصَبَت/ فِي قُدسِنا/ نَصباً مِنَ البُهتانِ/ وتَجَمَّعَت سُحُباً علَى آفاقِها/ حُبلَى/ بِنارِ جُهمَةٍ ودُخانِ/ وَقَفَت تَتطُرُ أن يَلُمَّ تَجَمُّعَنا / وَهَنٌ/ فَنَحنِي جَبهَةَ لِهَوانِ/ حَتّى إذا سَقَطَ النَّصيفُ تَمَلمَلَت/ ذِئباً/ وَسماً فِي فَمِ الثُّعبانِ/ فَإذا الرُّبوعُ وَليمَةٌ لِجِرادِها/ والدّارُ/ نَهبٌ لِبَراثِنِ الغِربانِ» (الحيدري، 1980م: 463-464)

يرى الشاعر الصهاينة كغربان تنهب القدس وتأكل حقوق الناس المظلومين. فيجب على الشعب العربي والأمّة الإسلامية أن يقاموا أمام هذا العدوّ الغاصب ويدافعوا عن كرامتهم ووطنهم.

ب) الرموز التي تدلّ على الظلم والظالمين:

إن أحد المضامين الأصلية لأدب المقاومة هو الظلم، فالشعراء والكتّاب يتكلّمون كثيرا حول ما يفعله الغاصبون الظالمون في وطنهم من القمع والاضطهاد والسجن والاغتيال. نرى في الأدب المقاوم رموزا كثيرة تدلّ على الظلم والظالمين. رموز الطبيعة التي قد استخدم في هذا المجال هي الحيوانات الوحشية والخطرة والظواهر الخشنة كالبرد والثلج والعاصفة.

الثعبان:

إن للثعبان أو الحية أو الأفعى انعكاسا كبيرا في الثقافات المختلفة. فكثيرما يخاف الناس من الثعبان لأنّه عدوّ قاتل للإنسان ولذلك يفرّ منه دائما ويجعله رمزا للخوف والعداوة. وأيضا يوجد في سمّ الثعبان فوائد كثيرة للإنسان. وعلماء الطبّ يصنعون منه دواء بعض الأمراض. يُستخدم الثعبان في الأدب المقاوم رمزا للأعداء الغاصبين، الشاعر بلند الحيدري في بعض قصائده التي يتطرّق فيها إلى لمحتلّين الظالمين، يجعل الثعبان والأفعى رمزا لهم فيقول في قصيدة «في الليل»:

«لَكنَّما النّاسُ/ عادُوا مِثلَما كانُوا/ يَشُدُّ أرجُلَهُم بِالأرضِ ثُعبان/ والأرضُ تَنسَجُ في صَمتِ مَآسيها/ مِن كلِّ ما فيها» (الحيدري، 1980م: 300)

و في قصيدة «أريدُ أن»:

«أُريدُ أن أُزَحزِحَ اللَّيلَ فَلا تَختِلَ تَحتَ ظِلِّهِ/ أفعىً/ وَلا تَسعَى/ وَراءَ رِجلِهِ/ تَنفَثُ ألفَ فِكرَةٍ مُحَرَّمَه» (الحيدري، 1980م: 377-378)

فالشاعر يرمز بالثعبان والأفعى للمحتلّين والغاصبين. وبهذا الرمز يجسّد وحشية العدوّ وأعماله غير الإنسانيّة أمام عيون المتلقّي. يقول يجب علينا أن نمحو ليل الاحتلال ونخرج الغاصبين من أراضينا ويسبب السكوت أمامهم أن يرتكبوا أقبح الأعمال والمحرّمات.

البرد:

كما أن البرد يسبب ضررا كثيرا لجسم الإنسان والمحاصيل الزراعيّة وله أثر سلبيّ في الطبيعة، قد انعكس في الأدب حاملا المعاني السلبيّة. يستخدم هذه الظاهرة الطبيعية في شعر المقاومة رمزا للظلم والظالمين أي الحكام والمحتلّين الذين يظلمون الناس كثيرا.

فهو يقول في قصيدة «ليل وبرد وحرّاس»:

«سَيُطِلُّ الصَّباحُ/ لَن تَنهَضَ فِي الصُّبحِ الأمواتُ/ هَل ماتُوا؟/ تَجُوسُ اللَّيلَ خُطَى الحُرّاسِ/ واللَّيلُ طَويلٌ يا حُرّاسُ/ والبَردُ شَديدٌ/ والثَّأرُ مَريرٌ يا حُرّاسُ» (الحيدري، 1980م: 539)

فالشاعر ينتظر صباح الحريّة ويريد الخروج من الليل الطويل وبرده الشديد، هو يرمز بالليل والبرد للاحتلال والظلم في وطنه ويرمز بالصبح للحريّة، الحريّة التي تأتي بعد ليل الظلم والاحتلال وإن كان طويلا، فالحيدري بهذه الرمزية يجسّد جمال الحريّة وكراهة الظلم والاحتلال ويخبر المتلقّي بمجيء الحريّة والسعادة بعد الظلم حتما.

الشتاء:

إنّ الشتاء أبرد فصول السنة. تملؤ الطبيعة بالثلج والبرودة في هذا الفصل وتواجه الحياة بعضا من المشاكل والصعوبات ويغطّي الثلج والجليد صعيد الأرض. يستخدم الشعراء هذا الفصل في شعرهم استعمالا رمزيا ويعطونه دلالات جديدة غير دلالته المعجميّة وفقا لما يفعل في الطبيعة والحياة من التأثيرات. نحن نرى الشتاء في شعر المقاومة رمزا للظلم والظالمين وأعمالهم السيئة. يرمز الحيدري بالشتاء إلى الظلم الذي طال في وطنه فهو يقول في قصيدة «مسيرة خطايا السبع»:

«أنا امرَأَةٌ/ وُلِدتُ في لَيلِ شِتائي طَويلِ المدَى/ فَكانَ أن سَدَدتُ بابَ غُرفَتي/ أغلَقتُ شُبّاكي عَلَى الرّياحِ والنُّجومِ والصَّدَى/ فَصارَ بَيتي مِدفَأه/ ونِمتُ كي أولَدَ كلَّ لَحظَةٍ في مَوتٍ» (الحيدري، 1980م: 696-697)

كلمة الشتاء هنا يشير إلى الصعوبة التي يذوق الشاعر ووطنه من الغصب والاحتلال لأن الغاصبين والمحتلين احتلوا وغصبوا وطن الشاعر وملأوه بالظلم والصعوبة كما يملؤ الشتاء الطبيعة بالثلج والبرودة.

اللون الأسود:

«تستخدم اللغات ألفاظ الألوان استخدامات مجازية قد يشيع بعضها ويجري مجرى الأمثال، كما أنّها عن طريق المعاني الرمزية والإيحائية للألوان تستخدم ألفاظها في تعبيرات لغوية idioms لا يفهم معناها بمجرد فهم مفرداتها إذ تصبح تركيبا موحدا ذا معنى

خاصّ». (عمر، 1997م: 69) إن اللون الأسود من أكثر الألوان استخداما رمزيا في شعر المقاومة، فشعراء المقاومة يرمزون بهذا اللون للظلم والكبت والشقاوة والاحتلال، «يشير الأسود فيزيائيا إلى فقدان اللون، لكنّه في منظور كثير من الثقافات دالّ على ما يستكره ويتشاءم به، لهذا عبر الشعراء بهذا اللون من المعاناة وكلّ ما هو سلبيّ كالآلام والعذاب» (محمد حمدان، 2008م: 100) هذا اللون قد جاء في القرآن الكريم لدلالة على معنى سلبي: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكفُرُونَ﴾ (سورة آل عمران: 106) نشاهد اللون الأسود بهذه الدلالات في المجتمع وفي اعتقادات الناس، «فقد اعتاد الناس لبس السواد عند الحزن فربطوا السّواد بالموت وشاع بينهم الخوف من الظلام وما يحمله من مجهول فربطوا الخوف من المجهول بالسواد، كما أن اللون الأسود لم يربط في الطّبيعة بأيّ شيء ذي بهجة». (عمر، 1997م: 201) وكلّ هذه الأسباب قد جعل اللون الأسود مرتبطا بالتشاؤم والشرّ عند البشر وهكذا جعل بلند الحيدري اللون الأسود رمزا للظلم والظالمين ويقول في قصيدة «في الأربعين»:

«أأيقَضتَ في الأشواكِ مِن عَطشِي المَهين/ حِقدِي الكمين/ حِقدَ الأماني المائِتاتِ عَلَى طَريقٍ أسوَدَ/ أُبعُدِي/ يا انتِ، يا مَن تَحلُمينَ/ بِالفَجرِ» (الحيدري، 1980م: 419-420)

و في قصيدة «رحلة الحروف الصفر»:

«وَ تارَةً/ كَنيسَةٌ في وَحشَةِ الجِبالِ/ وتارَةً مَشانِقُ سَوداءُ/ أو حِبالٌ/ تَعرِفُها دُرُوبُكُم/ تَعرِفُها ذُنُوبُكُم فِي القَريَةِ الكَئِيبَةِ» (الحيدري، 1980م: 543)

فهنا يدلّ الأسود على الظلم والحزن والمصيبة والخوف الذي انتشر في البلاد بسبب وجود الظلم. ونحن نرى المفهوم المتشائم في هذا اللون، والظلم قد غطّى وطنه الليل باللون الأسود وملأ كل الجهات خوفا وبلاء.

الريح:

يوظّف الشعراء الرمزيون الريح في شعرهم الثوري كثيرا لأن خصائص الريح كالقدرة والحركة وعدم الوقفة، تسبّب أن يرمز الشاعر به للثورة والقيام أمام المحتلّين والظالمين، «الريح رمز القوّة والسلطان ولكنّها تدلّ على معنيين اثنين متناقضين فهي تدلّ على الخصب والرزق والنصر والظفر والبشارات، إذا ساقت السحاب مثقلا بالمطر وربّما دلّت على الجوائح والآفات إذا كانت دبوراً» (عجينة، 1994م: 272) قد وظّف الحيدري الريح بدلالة سلبيّة وجعل رمزا للظلم والغصب. قد جاء في قصيدة «غصن وصحراء ومظفر»:

«أ صَحيحٌ... يا مُظَفَّر/ إنَّ ذاك الغُصنَ رَغمَ البَردِ/ رَغمَ الرّيحِ/ أَخضَرُ...؟!» (الحيدري، 1980م: 482)

و في قصيدة «داء الخطاياء السبع»:

«وَ رَأينا الجَسَدَ العاري، رَغمَ الصَّقر الجائِع/ والرّيحِ المَلعونَة واللّيلِ الدّاجي/ رَغمَ المِسمارِ والنّارِ يَتَحَوَّلُ أرضاً خَضراءَ» (الحيدري، 1980م: 713-714)

هو يرمز باللون الأخضر إلى الحريّة والسعادة ويقول بأنّ الحريّة لا يبقى مع وجود الغصب والظلم والاحتلال ويرمز بالريح للظلم والغصب لأنّ بعض الرياح تهب بشدّة وببرودة أو حرارة كثيرة ويهلك النباتات والثمرات والحيوانات كما قد جاء في القرآن الكريم وتدلّ للهلاك ويقول: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ (الحاقة، 6)

الوحش:

يرمز بلند الحيدري بالوحش إلى الظالمين الذين يدوسون حقوق الشعب. وهم كالوحوش لايرحمون أحدا ويفرّقون بين الأطفال والكبار، ويظلمون في حقوق جميع الناس، فيقول في قصيدة «توبة يهونا»:

«أنا أدرِي/ أنَّ شَعبِي يَأكلُ الحِقدُ عروقَهُ/ كلَّما أبصَرَ بِي الوَحشُ الّذي داسَ حُقوقَهُ/ كلَّما أبصَرَ بِي اللَيلُ الذّي سَدَّ طَريقَهُ/ أنا أدرِي/ أيُّ وَحشٍ/ أيُّ لَيلٍ» (الحيدري، 1980م: 365)

ملأ قلوب الناس من الحقد والغضب وهم لا يسكتون أمام غصب وطنهم واحتلاله. برأي الشاعر أنّ الظالم عنيفٌ ومتحجرُ الفؤاد وقلبه خال من الرحم والمحبة فهو يرمز إليه بالوحوش ويشير بأنّ الظالمين لا يفعلون فعل الإنسان أو الحيوان الأهلي بل هم يرتكبون أعمال الوحوش ولا صلة بينهم وبين الإنسان.

الظلمة:

إنّ الإنسان يخاف من الظلمة ولا يقدر أن يشاهد الأشياء ويواصل طريقه محايدا لا يعتني بما يشاهد من السلبيات والإيجابيات منها، ولهذا السبب تستخدم الظلمة في النصوص الأدبية والدينية بمعانى سلبية. جاءت الظلمة في القرآن بمعنى الشقاوة والكفر، نشاهد هذا الأمر في سورة البقرة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة، 257) وفي الأدب المقاوم قد استعمل بدلالات مختلفة سلبية كالظلم والفقر والاحتلال والجهل.

يقول في قصيدة «غَداً هُنا»:

«غَدَاً/ هُنا/ سَيَسأَلُ التّاريخُ عَنّي/ أنا/ عَن بَيتِنا الغارِقِ في الظُّلمَةِ» (الحيدري، 1980م: 382)

فالشاعر يرى نفسه ومواطنيه مسؤولا أمام وطنه ومسائله السياسية، الوطن الذى غرق في ظلمة الاحتلال والظلم، فيعتقد بأنّ الثورة واجبة لأنّ السكوت أمام الظلم ونهب الوطن يسبب شقاوة الأجيال الحاضرين والقادمين.

الليل:

لا يقدر الإنسان في الليل أن يستمرّ عيشه بسهولة النهار، ويصير العيش ودفع الخطر والإنقاذ من الموت والحيوانات الوحشيّة صعبا بسبب عدم وجود النور فالليل يستعمل كثيرا في الأدب. نشاهد عند القدماء بأنّ الشعراء يصفونه في آثارهم ويتكلّمون عن ميزاتها ويحزنون منه بسبب الابتعاد من المعشوق، وينتظرون قدومه مع بزوغ الشمس. ولكن فى الأدب المعاصر والمقاوم يستعمل في دلالات جديدة غير معجمية فهو يدلّ على المصائب والمشاكل والمسائل السلبيّة كالظلم والاحتلال والغصب والفقر والجهل.فنرى هذه الرمزيّة في شعر بلند الحيدري حيث يقول في قصيدة «نشيج»:

«يا دَمعَتي/ اللَيلُ قَد خَيَّمَت أشباحَهُ/ في غُرفَتي الباليَة/ لِلّهِ/ خَلّيني إلى وَحدَتي/ أبُثُّ لِلشَّمعَةِ أشجانِيَه/ فَشَمعَتِي شاعِرَةٌ طالَما / غَنَّت لِي النُّورَ بِأجوائِيَه» (الحيدري، 1980م: 100)

و في قصيدة «سرّ»:

«أدرِي/ سَتَعُودُ لِتَحرِقَ لِي شِعرِي/ سَتَعُودُ لِتَقلَعَ لِي ظَفرِي/ لَن تَقتُلَنِي/ سَتَشُدُّ الحَبلُ ولَن تَقتُلَنِي/ سَتَطيلُ اللَّيلُ ولَن تَقتُلَنِي/ سَتَدُوسُ علَى صَدرِي» (الحيدرى، 1980م: 354)

يرى الشاعر بأنّ الظلم والغصب قد خيّمَ كالليل أشباحه في وطنه ونشر الخوف والصعوبة فيه ولكنه يعلم بأنّ هذا الليل لن يدوم ولن يستطيع أن يهزم الشعب والمجاهدين.

العاصفة والإعصار:

إنّ العاصفة والإعصار من الرياح الشديدة والقويّة التي يصحبهما مطر غزير أو ثلج أو برد. هما تعتبران من الكوارث الطبيعيّة كالسيل والبركان حيث جاءت هاتان الظاهرتان في القرآن الكريم بدلالة سلبية: (فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) (المرسلات، 2) (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة، 266) يستخدم الشعراء والأدباء المعاصرون هاتين الظاهرتين في آثارهم استخداما رمزيا وفي دلالات جديدة. تدلّ العاصفة والإعصار في أدب المقاومة للغصب والاحتلال والظلم فجعلهما الحيدري رمزين للظلم والظالمين، ويقول في قصيدة «انتظار»:

«هذا السِّراجُ قَد انتَهَت أحلامُهُ/ ودَنا الصَّباحُ/ والفَجرُ يُولَدُ مَرَّةً أُخرَى عَلَى نَزفِ الجَراحِ/ ومَحَت يَدُ الصَّفوِ الجَميلِ دُجَى العَواصِفِ والرِّياحِ» (الحيدري، 1980م: 152)

و في قصيدة «الأشرعة المنتظرة»:

«لَو عُدتَ يا صَباحُ/ أَلفَيتَنِي أَحمِلُ كُلَّ أوجُهِي/ أَشرِعَةً/ تَنتَظِرُ الرّياحَ/ تَنتَظِرُ الاَبحارَ/ لِشاطِئٍ لا لُؤلُؤَ فيهِ ولا مَحارَ/ لا شَيءَ/ غَيرَ الجُوعِ والإعصارِ» (الحيدري، 1980م: 518)

يشارك المتلقّي بهذين الرمزين في إحساس الشاعر حول الظلم بحقّ وطنه ويلمس ما يقوله فالظلم كالإعصار والعاصفة يهدم الوطن ويقتل الناس ويجعل الحياة مرّا وصعبا. فبالإضافة إلى هذه فالشاعر تمكن من أن يصون نفسه من خطر الظالمين ويبيّن أفكاره وإحساسه.

النسر:

إنّ النسر من الطيور التي يستخدم رمزا في أدب المقاومة فهو «طائر من الجوارح ينتمي إلى فصيلة النسريات حادّ البصر له منقار معقوف مذبب ذو جوانب مزوّدة بقواطع حادّة، مخالبه قصيرة ضعيفة، جناحاه كبيران، يتغذّى بالجيف» (عمر، 2008م: مادّة نسر) يجعله شعراء المقاومة بعض الأحيان رمزا للشهداء والمجاهدين وبعض الأحيان رمزا للعدوّ الظالم والغاصب والشاعر بلند الحيدري في قصيده «وحدتي»، جعله رمزا للظالمين الذين ينهشون صدور الشعب المظلوم فيقول:

«أُترُكيني/ أنا لِلّناسِ/ ولِلّنَسرِ الذي يَنهَشُ صَدري/ أنا مَوتِي» (الحيدري، 1980م: 280)

فهو يفدّي نفسه في سبيل حريّة الوطن ويقدّمه حتّى يعيش شعبه ووطنه في السعادة والكرامة وفي عقيدة الشاعر حريّة الوطن والشعب وكرامته، أغلى من كلّ شيء وليست للحياة قيمة بدون الحريّة. في هذه القصيدة الشاعر بسبب الكبت الموجود في وطنه يتكلّم عن الظالمين والغاصبين بأسلوب الرمز وينقل فكره وإحساسه للمتلقّي بهذا التقنية.

ج) الرموز التي تدلّ على الثورة:

المطر:

إنّ الماء هو سبب الحياة وأصلها، ولا حيَّ يقدر أن يعيش ويواصل حياته بدونه، فيحتاج كلّ مخلوق حيّ من النباتات والحيوانات والإنسان الى الماء. «هو لدى جميع شعوب العالم– فهو الأوّل، أصلًا لجميع الكائنات الحيّة، وهو الآخر ماء هائجاً مائجا وطوفانا تعاقب به البشرية وفيأتي على كلّ شيء ولكنه في آنٍ ينبئ بتجدّد الحياة على وجه الأرض وبخلق جديد. وإذن فلا عجب أن كان بما له من تلك الصّفات وبكتلته التي تحتمل التشكل في جمع الأشكال رمزًا من الرموز البشريّة الحبلى بالدلالات» (عجينة، 1994م، ج1: 252) وبما أنّ المطر يغيّر الطبيعة ويجدّدها وكذلك يكون نزوله بالتكرار والشمول والمساواة، فاتّخذ في الشعر المعاصر والشعر المقاوم خاصّةً مدلول الحريّة الشاملة، الدائمة التي تغيّر الحياة وصولا الى الكرامة والسعادة. والحيدري يرمز بالمطر إلى الثورة أمام المحتلّين والظالمين فيقول:

«يا ناسُ هَبُوني اِسماً/ اِسماً يَحمِلُني وَعداً/ رَعداً/ غَيماً/ مَطَراً قَد يُوعِدُ بِالنَّعي/ سِمُوني اسماً... مَسعُوداً أو أسعَد/ مَحموداً أو أحمَد» (الحيدري، 1980م: 685–686)

و في رأيه يجب علينا أن نلتزم بالثورة في سبيل الحقّ دئما، حتّى نصل إلى الحرّية والكرامة. وإذا لا يثور شعب أمام الظالمين والغاصبين لن يعيش سعيدا وكريما أبدا وطريق الوصول إلى الكرامة والحريّة هو الثورة والجهاد، عندما نريد الحريّة فيجب علينا أن نملأ جسمنا وروحنا بالثورة والجهاد لا نتوقّف، هذه الرمزيّة يشير بأنّ الثورة تنبت الحريّة كما أن المطر ينبت الشجرة والزهرة والنبات.

البركان:

«البركان هو فتحة في القشرة الأرضيّة في جبل. يكون في الغالب مخروطيّ الشكل وينتهي بفوهة تخرج منها موادّ منهصرة وغازات وأبخرة ودخان» (عمر، 2008م: مادة بركان) إذا ألقينا نظرة على البركان نظرة أدبية، نقدر أن نقول بأنّ البركان هو غضب الأرض من الظلم وإزالة كلّ ما فيها، وعدم الصمت أمام الظلم والكبت. يستخدم شعراء المقاومة البركان رمزا للثورة والانتفاضة، ويعتقدون أنّ الشعب يجب عليهم أن يثوروا ويقوموا أمام الظلم والاحتلال، والشاعر بلند الحيدري يقول في قصيدة «تحية الأديب»:

يا شامِخاً/ ما طالَهُ نَسرٌ/ ولا دانَت ذُراهُ مَسالِكُ العِقبانِ/ اِنّي أكادُ أمُسُّ صَوتَكَ/ هادِراً/ فِي كُلِّ شِبرِ مِن خُطَى أوطانِي/ فِي عَينِ ثائِرَةٍ/ يَلوحُ حِكايةً عَمّا تَقُولُ الأرضُ فِي البُركانُ» (الحيدري، 1980م: 461)

فهو يشير بالبركان إلى الثورة والدفاع عن الحقّ، ويفعل الشهداء والمجاهدون فعل البركان ولا يسكتون أمام الظلم والشاعر بهذه الرمزيّة، في الحقيقة يقول بأنّ الظالمين والغاصبين والمحتلّين لا يقدرون أن يبقوا ويسلموا عندما يثور الشعب والمجاهدون كما لاشيء قادرٌ أن يبقى أمام البركان.

د) الرموز التي تدلّ على الحريّة:

النور:

إنّ النور والضياء محبوب عند جميع الناس وكل الثقافات لأنّه يساعد الإنسان على أن يميّز الصواب من الخطأ والحسن من القبح. ولهذا جاء النور في النصوص الأدبيّة والدينيّة رمزا للخير والعطاء والسعادة والحريّة. فمثلا نشاهد في القرآن الكريم الذي يقول: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَي النُّورِ﴾ (البقرة: 257) ونرى في الأدب أنّ كل كلمة ترتبط بالنّور والضياء، تدلّ في أكثر الأحيان على الخير ولها معنى إيجابيّة. فبين الشمس والصباح والنهار والنجم والقمر والفجر والسّحر وبين الخير صلة في النصوص الأدبيّة. فالشاعر في قلبه أمل بالحريّة ويرى وطنه غارقا في الحزن والألم ودماء الشهداء والظلم. وهو يرمز بالنور للحريّة التي ينشر ضياءها على هذا الوطن فيقول في قصيدة «لا شيء هنا»:

«مَدينَةُ الحُزنِ تُغنّي بِالألَمِ/ ومَضَى يَنسِجُ مِن تِلك الدِّما/ خَفقَةَ النُّورِ وإلهامَ الظُّلمِ» (الحيدري، 1980م: 114)

فالشاعر يتعتقد بأنّ وطنه مليء بالظلم والألم والحزن، والشعب يضحّون دماءهم في سبيل الحرية ويكافحون الظلم حتّى يصلوا إلى نور السعادة والكرامة والحريّة. فهو بسبب وجود الاختناق لا يقدر أن يتكلّم عن الحريّة بصراحة بل يرمز إليها بكلمة النور، فعنوان القصيدة يعني لا شيء هنا يكون مرتبطا بهذه الرمزية والشاعر يشير إلى أهميّة الحريّة فدون نور الحرية لا فائدة لأيّ شيء في المجتمع.

النبع:

إنّ النبع هو منبع الماء ونحن لا نقدر استمرار الحياة إلا به، فيكون النبع مقدسا عند الناس. «قداسة النبع عالميّة لأنّ نمو الحيوان والإنسان وخصوبتهما دونه ليس ممكنا. النبع رمز الأمية والملك والقدرة والبركة والسعادة ومبدأ الحياة وكلّ الوجود» (شواليه، 1387ش، ج2: 523–526) وبلند الحيدري جعل النبع رمزا للثورة أمام الظالمين والغاصبين. ويقول:

«أ صَحيحٌ/ إنَّ شَمساً تَجمَعُ الصَّحراءَ في عَيني؟/ مُظَفَّر!/ نَبعَ ماءٍ يَتَفَجَّر/ آه لَو تَدرِي عَطشانا عَلَى الدَّربِ/ المُعَفَّر/ إنَّ في أعماقِ صَحرائِك نَبعاً يَتَفَجَّر» (الحيدري، 1980م: 484)

فالنبع منبع الماء والثورة منبع الحريّة، والإنسان لا يستطيع أن يعيش كريما وسعيدا بدون التمتع بالحريّة كما أنه لا يستطيع أن يعيش دون الماء، فالشاعر يتمنّى لوطنه ثورة يتفجّر كالنبع حتّى أغرقه في الحريّة وذهب بالظلم والدم.

الربيع:

عندما نفكر في الطبيعة نرى أنه لكل من الفصول الأربعة يعني الرّبيع والصيف والخريف والشّتاء خصائص خاصّة. بينما نرى أن الربيع هو محبوب عند اكثر الناس لأنّه أحسن من الفصول الأخرى جوّاً وطبيعة وجمالاً. في الربيع تخضرّ الطبيعة بعد الشتاء القارس والبرودة الشديدة وتملأ الأرض بالبهجة والسرور. فيخرج الناس من بيوتهم إلى أحضان الطبيعة وينظرون إلى المناظر الجميلة ويأكلون الفواكهة اللذيذة ويتمتعون بالجوّ الرائع ولهذا أكثر شعوب الأرض تحتفل بإشراقة الربيع والربيع بهذا الأسباب قد صار رمزا لتجدد الحياة والحريّة في الأدب. والشعراء الرمزيون يجعلون الربيع رمزا للحريّة وتجدد الحياة بعد الظلم والفساد والكبت. كما أنّ الشتاء هو رمز للظلم والكبت والاختناق. ويقول الحيدري في هذا المجال في قصيدة «النسر»:

«فَسُنبُلَةٌ تَقولُ:/ غَدي رَبيعٌ وتَقَسَّمَ بِاسمِ خابِيَةٍ/ وراحٍ/ بِأن يَبقَى الطَّريقُ/ طَريقَ فَجرٍ/ وفَجرُك لَن يَسيرَ إلى أرواحٍ» (الحيدري، 1980م: 453)

و في قصيده «عشرون ألف قتيل.. خبرٌ عتيق»:

«وَحدي/ رَأسي هُنا/ رِجلي هُناك/ ويَدي تَشُدُّ علَى يَدي/ الَمٌ فَظيعٌ/ واُحِسُّ بي شَوقَ الرَّبيع» (الحيدري، 1980م: 349)

و قد أغرق شتاء الظلم وطن الشاعر في الثلج والبرودة والصعوبة فيتمنّي مجيءَ الربيع والحريّة حتّى يدمّرَ بناء الظلم والصعوبة وتتفتح الأزهار والأثمار في وطنه.

الزيتون:

إن الزيتون من أكبر نعم الله للإنسان وله فوائد صحيّة وغذائيّة كثيرة، شجرة الزيتون جميلة ودائمة الخضرة. يوظف الزيتون كثيرا في الأدب المقاوم وهو يستخدم مع دلالات غير معجميّة متعددة. «الزيتون رمز الصلح والخصوبة والتزكية والقدرة والفوز والجزاء» (شواليه، 1387ش، ج3: 490) قد جاء هذه الشجرة في القرآن الكريم وهو شجرة مباركة. (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ويَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (النور، 35) فجعل بلند الحيدري كشاعر رمزي الزيتون، رمزا للسلام والحريّة كما أنّ الحريّة دون السلام متعذّر فيقول في قصيدة «غصن وصحراء ومظفر»:

«إنَّ البَردَ في صَحراك مَلعون/ فَلَن تَحيَا غُصُون/ في صَحاري كُلُّ ما فيها مَنون/ كَيفَ يَحيا غُصنُ زَيتُونٍ صَغيرٍ/ كَيفَ يَحيَا ويَصيرُ/ لِرَبيعٍ مَوعِدٍ/ كيفَ يَكون؟» (الحيدري، 1980م: 482)

فهناك برد الظلم في وطن الشاعر فجعله الشاعر كصحراء بلا نبات وزهر، فشجرة الصلح والحريّة أي الزيتون لا تقدر أن تحيا في هذه الصحراء. فهو ينتظر ربيع الحريّة والصلح حتّى يزدهر الزيتون ويثمر فيشير بالزيتون إلى جمال الحريّة وفوائدها ويريد حريّة دائميّة كما أن الزيتون يكون أخضر دائما.

الثمرة:

إن ثمرة النباتات والأشجار تحمل البذرة وتحميها، والثمرة غذاء لذيذ للإنسان والحيوان ولها فوائد كثيرة بالإضافة إلى جمالها وعطرها والثمرة تحمي البذرة وبهذا الطريق يسبب إلى الولادة الأخرى والتكاثر. وقد أخذت الثمرة في الأدب والثقافة دلالات رمزية مختلفة. «و هي رمز الكثرة ومبدأ الوجود ومصدره ورغبة إلى الهوى ورغبة إلى الخلود ورمز السعادة» (شواليه، ج5، 1387ش: 376) والثمرة في أدب المقاومة تحمل دلالة الحريّة والسعادة، وهي نتيجة دماء الشهداء والمجاهدين. وبوجود الحريّة يستمرّ الحياة ويولد الجيل القادم. يقول بلند الحيدري في قصيدة «الأشرعة المنتظرة»:

«وَ أرجُلُ الرِّجالِ/ تَغُورُ حَتَّى المَوتِ فِي الأوحالِ/ تَغُور خَلفَ اللَّيلِ والنَّهارِ/ كَأنَّها تُريدُ أن/ تُنبِتَ مِن عُروقِها الجُذورَ والأغصانَ/ والثِّمارَ» (الحيدري، 1980م: 519)

فالشاعر يعتقد بأنّ المجاهدين يقاومون أمام المحتلّين والظالمين ويكافحون الظلم والغصب حتّى يسقوا شجرة الحريّة بدمائهم ويدافعوا عنها لتثمر وينتفع الجيل القادم من ثمرها. فيجدر بنا أن نضحّي أنفسنا في سبيل الحريّة والكرامة، ويشير إلى الإيثار والانتفاضة والمجاهدة، فالشعب لا يكتسب الحريّة إلّا بالمجاهدة والشجاعة.

الصباح:

إن الصباح هو أوّل النهار، ووقت رؤية الشمس وبزوغه، ووقت ذهاب الليل والظلمة، ونشر النور الجميل في الطبيعة والحياة. «الصباح رمز الزمن الذي النور فيه صاف وخالص ووقت الابتداء ووقت ليس فيه ناجس وفضيح ومنحرف. ورمز الخلوص والبيعة، هو زمن الحياة الجنيّة وزمن الثقة للنفس والآخرين» (شواليه، 1387ش، ج4: 137–138) يوظّف الأدباء والشعراء الصباح كثيرا في

آثارهم رمزا للمفاهيم الإيجابيّة والجميلةكالحريّة والسعادة والعلم والوعي. يحمل الصباح في شعر بلند الحيدري دلالة الحريّة والسعادة. فيقول في قصيده «سأم»:

«أينَ ذاكَ الصَّباح/ لا شَيءَ مِنهُ/ غَيرَ ذِكرىً تَزيدُ قَلبِي حُزناً/ ونَشيجٌ/ مُغلَفٌ بِبَقايا مِن فُؤادٍ يَذوبُ يَأساً ويَفنَى». (الحيدري، 1980م: 130)

و في قصيدة «إلى مدينة.. كالحجر الناتىء»:

«يا وَجهَ اِمرَأَةٍ أقسَى مِن وَطَنِي/ سَيَجِيءُ الصُّبحُ/ وستَعبِرُ بِي مَرمِياً خَلفَ الأسوارِ/ ومُدمِياً خَلفَ الأسوارِ/ ولَكِن... لَن تَعرِفُنِي/ لَن تَعرِفَنِي/ فَأنَا مَمحُوٌّ فِي ظِلّي... ظِلّي لا يَذكُرُ شَيئاً عَنّي/ لَن تَعرِفنِي» (الحيدري، 1980م: 637)

إن الشاعر ينتظر الحريّة ويحزن في غيابها، وهو يعلم بأنّها سيجيء ولا شك فيها، وستمّحي ظلمات الاحتلال والغصب والحريّة كالصباح محبوبة وجميلة ومفيدة عند الناس ويكون العيش دونها صعبا.

الشمس:

يكون للشمس مكانة رفيعة عند الناس لأنّها تنفعهم كثيرا. يتعلق حياة الإنسان والحيوان بالشمس وجعل بعض الأقوام الشمس في مقام الإله. «عبادة الشمس من العبادات القديمة المتطورة إذا ما قيست بالعبادات البدائيّة الأخرى التي كان يؤديها الإنسان للأحجار والنباتات وغيرها من الطواطم المعروفة. فهي أول الأجرام السماوية التي كان لتأثيرها المادي على الإنسان والحيوان والنبات أثر في لفت أنظار البشر أليها. فعبدوها وبنوا لها المعابد. (بلاوي ومهتدي، 1436ق: 20) كما جاء في القرآن الكريم (وَ مِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهَارُ وَالشَّمْسُ والْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولَا لِلْقَمَرِ واسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (فصلت، 37) نرى بأنّ الحيدري يرمز بالشمس إلى الحريّة ويريدها لوطنه حتّى تنوّره وينتفع الناس من حرارتها ومنافعها الكثيرة، فيقول في قصيده «وحدتي»:

«وَ مَمَرٌّ في دُروبّ الشَّمسِ أعمَى/ لي ضَحكي/ وجُنوني/ وبِبَيتي/ صَحوَتي تَغرقُ في السَّكرِ/ وتَمتَصُّ سِنيني» (الحيدري، 1980م: 280)

و يقول في قصيدة «وجه أختي.. وجه أمتي»:

«يا أُختاه/ مِثلَ المَوتِ ... لكِن/ لَم تَمُوتِي/ ولَن تَمُوتِي/ فَغَدِي سَيَبعَثُ مِنكِ يا أُختاه/ مِن دَمِكِ الصَّمُوتُ/ مِن نَبضِ قَلبِكِ وهُوَ يَصرُخُ حَيثُ يَمعَنُ/ في السُّكوتِ/ لا... لَم تَمُوتِي/ ولَن تَمُوتِي/ مادامَ حَرفُ أخضَرُ يَومِي وشَمسُ تُولَدُ/ مادامَ في الدُّنيا غَد» (الحيدري، 1980م: 436-437)

ستجيء شمس الحريّة وينتفع الوطن بها ويخرج من ظلمة الاحتلال والظلم ولا ريب فيها والشاعر بهذا الرمز ينبت شجرة الأمل والرجاء في قلوب مواطنيه ويخلق هذا المعنى في أذهانهم، والحريّة تجيء بعد الظلم كما أن الشمس تجيء بعد الظلمة والليل.

الفجر:

«الفجر هو وقت انكشاف ظلمة الليل عن نور الصبح قبيل شروق الشمس. وهو اسم سورة من سور القرآن» (عمر، 2008م: مادة فجر). بالإضافة إلى جمال الفجر له أهمية كبيرة عند المسلمين لأنّه يتعلّق به وقت العبادة، كالصلاة و الصوم، وينتهي بطلوعه ليلة القدر. يستخدم الفجر رمزا في النصوص الأدبية والدينيّة ويحمل دلالات غير معجميّة مختلفة «هو في كلّ الثقافات والحضارات رمز للوعي المفرّح في النور المنعكس» (شواليه، 1387ش، ج3: 534) الفجر في أدب المقاومة رمز للحريّة والسعادة بعد الظلم والاحتلال والصعوبة وكذلك الشاعر بلند الحيدري يجعله رمزا للحريّة ويقول في قصيدة «جئتم مع الفجر»:

«جِئتُم مَعَ الفَجرِ/ وكنّا هُنا/ نُقتَلُ في صَمتٍ ولا نَدري/ أ يُصلَبُ الإنسانُ/ أ تَحرِقُ النِّيرانُ/ بُيُوتَنا/ صِغارَنا/ لِأنَّنا نَحلُمُ بِالفَجرِ» (الحيدري، 1980م: 369)

اللون الأخضر:

«إنّ اللون الأخضر مِن الألوان المحبوبة ذات الإيحاءات المبهجة كاللون الأبيض بيد أنّه استمدّ معانيه المحبوبة من ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة كالنباتات وبعض الأحجار الكريمة كالزمرّد والزبرجد ثمّ جاءت المعتقدات الدينية للتعمّق من هذه الإيحاءات حين استخدمت اللون الأخضر في الخصب والرزق» (المرازقة، 2010م: 26) يقول الرحمن تعالى في سورة الكهف آية 31: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾. لذلك جاء هذا اللون في الأدب رمزاً للمفاهيم الإيجابيّة كالسعادة والحريّة والتجدّد، وهو «لون الأمل، القوّة، طول العمر، هو لون الخلود الذي ترمز إليه كونياً الغصون الصغيرة الخضراء» (عبيد، 2013م: 93). وكذلك قد ذهب هذا اللون بالمعاني المحبوبة والإيجابية في شعر المقاومة. فجعله بلند الحيدري رمزا للحريّة ويقول في قصيدة «غَداً هُنا»:

«وَ أنتَ يا حِكايَةَ الذُّنوبِ/ غَداً/ هُنا/ يَلعَنُكَ العَصرُ وفي القِمَّه/ سَيَكتُبُ التّاريخُ عَنّي/ أنا/ عَن خُضرَةٍ جاءَت بِها/ غَيمَه» (الحيدرى، 1980م: 383)

و في قصيدة «إلى مدينتي»:

«يُقالُ:/ إنَّ بَيتَنا كئيبٌ/ يُقالُ:/ إنَّ دَربَنا/ قَد أوحَشَت خُضرَتَهُ الذُّنوب/ يُقالُ:/ إنَّ النّاسَ في مَدينَتي/ قَد جَفَّ في أعيُنِها اللَّهيب» (الحيدري، 1980م: 421)

نرى بأنّ الشاعر على حسب الثقافة الإسلاميّة والعربيّة يرمز باللون الأخضر إلى مفهوم إيجابيّ ومحبوب يعني الحريّة. فيحسب الشاعر دماء الشهداء ماء تنبت به أزهار الحريّة، فهذا الرمز يشير إلى محبوبيّة الحريّة عند الشاعر ومواطنيه ويشير إلى لزوم الجهد في سبيلها حتّى يصلوا إلى الكرامة والسعادة.

النتائج

1- في شعر المقاومة لبلند الحيدري نرى رموز الطبيعة ذات دلالات غير معجميّة كثيرة.

2- الحيدري كالشعراء العرب المعاصرين الآخرين يستعمل الرموز في شعر المقاومة بأسباب مختلفة كالخوف من السجن والاغتيال والأذى من قبل الحكام الظالمين والغاصبين. وبسبب تعميق المعنى والإحساس والمشاركة المتلقّي فيهما. وأيضا تجسيد المعاني والأحاسيس.

3- الشاعر يتطرّق بهذه الرموز إلى المقاومة ومسائلها الهامّة يعني الإحتلال والظلم والثورة والحريّة بعدها.

4- هو يستعمل العناصر المخيفة والسلبية رمزا للمفاهيم والموضوعات المخيفة والسلبية. ويتستعمل العناصر الجميلة والمحبوبة والايجابية رمزا الى الفاهيم والموضوعات المحبوبة والايجابية.

5- هو يوظّف أكثر عناصر الطبيعة كالحيوانات والنباتات والبرّ والبحر والليل والنهار وغيرها. تحمل هذه الرموز دلالات معينة وفقا لميزاتهم.

6- الحيدري يرمز بالذئب والجراد والغراب للغصب والإحتلال والغاصبين. وبالثعبان والبرد والشتاء واللون الأسود والريح والليل والوحش والعاصفة والنسر للظلم والظالمين. وبالمطر والبركان للثورة أمام المحتلّين والظالمين. وفي الآخر يرمز بالالنور والنبع والربيع والزيتون والثمر والصباح والشمس والفجر واللون الأخضر للحريّة.

7- يفهم هذه الدلالات في السياق الشعري ونرى بأن هذه الرموز قد استطاعت أن يعطي شعر الحيدري جمالا وعمقا واثرا. وأغنته حيويّة وإحساسا.

8- الشاعر بهذه الرموز يصون من خطر الاختناق ويأثّر في المتلقّي ويجعل فكره وشعوره في قضية الوطن، ملموسا ومحسوسا أمام عيون المتلقّي.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- آل طعمة، سلمان هادى (2002م). «روّاد الشعر الحرّ في العراق»، بيروت، دار البلاغة.
- بصري، مير (1994م). «أعلام الأدب في العراق الحديث»، الجزء 2، بغداد، دار الحمكة.
- بلاوي، رسول ومهتدي، حسين (1436ش). «الرموز الطبيعية ودلالاتها في شعر يحيى السماوي»، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد 2، السنة 11.
- الحيدري، بلند (1980م). «ديوان»، الطبعة الثانية، بيروت، دار العودة.
- شواليه، ژان وگربران، آلن (1387ش). «معجم الرموز»، طهران، نشر جيحون.
- عبيد، كلود (2013م). «الألوان»، بيروت: المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع.
- عجينة، محمد (1994م). «موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها»، ج1و 2، بيروت: دار الفارابي.
- العسكريّ، أبو هلال (1988م). «جمهرة الأمثال»، ج 1 و2، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- العمّاري، فضل بن عمّار (2012م). «الذئب في الأدب العربي»، الرياض: جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع.
- عمر، احمد مختار (1997م). «اللغة واللون»، ط 2، القاهرة: عالم الكتب.
- محمد حمدان، أحمد عبدالله (2008م). «دلالات الألوان في شعر نزار قباني»، رسالة ماجستير، فلسطين: جامعة النجاح الوطنيّة.
- المرازقة، نجاح عبدالرحمن (2010م). «اللون ودلالاته في القرآن الكريم»، رسالة ماجستير، اردن: جامعة مؤتة.
- المصري، نائل درويش سليمان (2014م). «سيمياء الألوان في شعر بلند الحيدري»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزّة.
- نشاوى، نسيب (1984م). «مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربى المعاصر»، الجزاير، ديوان المطبوعات الجامعية.